المنهجية العلمية عند الإمام مالك بن أنس وأثرها في الحياة العلمية والاجتماعية والتربوية في المدينة المنورة وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات التعليمية

The Scientific Methodology of Imam Malik ibn Anas and Its Impact on Scientific, Social, and Educational Life in Al-Madinah Al-Munawwarah, and Its Educational Applications in Academic Institutions

أ. **خالد بن عبد اللطيف الوجعان:** باحث مرحلة الدكتوراه بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، كلية اللغة العربية والدراسات الإنسانية، قسم التربية، برنامج أصول التربية، تخصص أصول التربية الإسلامية.

Khalid bin Abd Al-Latif Al-Wujaan: PhD Researcher, Islamic University of Madinah, Faculty of Arabic Language and Human Sciences, Department of Education, Foundations of Education Program, Specialization in the Foundations of Islamic Education.

تاريخ الاستلام:	2025-03-07	تاريخ القبول:	2025-04-13	تاريخ النشر	2025-05-01

الملخص:

تناول هذا البحث المنهجية العلمية عند الإمام مالك بن أنس، ويستعرض أصولها ومظاهرها، وتأثيرها العميق في الحياة العلمية والاجتماعية والتربوية في المدينة المنورة خلال القرن الثاني الهجري. وهدف البحث إلى إبراز تميّز هذه المنهجية التي جمعت بين النص والاجتهاد، وبين الثبات والتجديد، وانعكاسها في تأسيس مدرسة علمية متوازنة أثّرت في الأجيال اللاحقة. اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، مستندة إلى مصادر عربية أصيلة من كتب الفقه والتاريخ والتراجم، وقد خلصت إلى أن فكر الإمام مالك لم يكن فقهيًا فقط، بل كان منظومة حضارية متكاملة ساهمت في بناء الإنسان والمجتمع والدولة. وأوصت الدراسة بضرورة الاهتمام بإحياء روح التأني والتثبت في الفتوى والتعليم، كما كان دأب الإمام مالك، خاصة في ظل الانتشار السريع للفتاوى الإلكترونية غير المنضبطة، كما اقترحت تشجيع كتابة الأبحاث الأكاديمية المتخصصة في دراسة أثر منهج الإمام مالك في الواقع المعاصر، خاصة في مجالات التربية والاجتماع والقانون.

الكلمات المفتاحية: مالك بن أنس، الحياة العلمية في المدينة المنورة، الوضع الاجتماعي في المدينة المنورة، الحياة التربوية في المدينة المنورة، المؤسسات التعليمية في السعودية

Abstract:

This study examined the scientific methodology of Imam Malik ibn Anas, focusing on its foundations, characteristics, and profound impact on the intellectual, social, and educational life of Madinah during the 2nd century AH. The study aimed to shed light on the distinctiveness of Imam Malik's approach, which harmoniously combined adherence to textual sources with reasoned ijtihad, and struck a balance between tradition and renewal. Employing a descriptive-analytical method, the study draws upon authentic Arabic sources in jurisprudence, history, and biography. The findings reveal that Imam Malik's intellectual legacy extended beyond jurisprudence, representing a holistic civilizational vision that contributed significantly to the development of individuals, society, and the state. The study recommended the need to revive the spirit of deliberation and deliberation in fatwas and education, as was the practice of Imam Malik, especially in light of the rapid spread of unregulated online fatwas. It also suggested encouraging the writing of specialized academic research that examines the impact of Imam Malik's approach on contemporary reality, particularly in the fields of education, sociology, and law.

Keywords: Malik ibn Anas, academic life in Medina, social situation in Medina, educational life in Medina, educational institutions in Saudi Arabia

المقدمة:

تُعدّ المدينة المنورة منارةً للعلم ومهدًا للتشريع الإسلامي منذ عهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وقد احتفظت بمكانتها العلمية والاجتماعية على مر العصور، لا سيما في القرن الثاني الهجري، حين بزغ نجم الإمام مالك بن أنس، إمام دار الهجرة، وأحد أبرز العلماء الذين ساهموا في تثبيت أركان المعرفة الدينية، والتأصيل للمنهجية العلمية في دراسة النصوص الشرعية.

لقد مثّلت المنهجية العلمية عند الإمام مالك نموذجًا متكاملًا يجمع بين التمسك بالنصوص، والتطبيق العملي من خلال عمل أهل المدينة، مع مراعاة المصلحة العامة، والعرف، وأخلاق التعلّم والتعليم، مما أضفى على منهجه طابعًا واقعيًا وروحيًا في آنٍ واحد.

ولم تقتصر آثار هذا المنهج على الجانب الفقهي أو الأكاديمي فحسب، بل امتد تأثيره إلى الحياة الاجتماعية والتربوية في المدينة المنورة، حيث أسهم في بناء شخصية المسلم الواعي، وأسس لنموذج تربوي يراعي السلوك قبل المعلومة، ويوازن بين الورع العلمي والمسؤولية الاجتماعية.

ويهدف هذا البحث إلى استكشاف أسس المنهج العلمي عند الإمام مالك، وتحليل انعكاساته المتعددة على الحياة العلمية والاجتماعية والتربوية في المدينة المنورة، وذلك من خلال تتبّع أقواله، وسيرته، وآثار مدرسته العلمية.

مشكلة الدراسة:

لم يكن عمل أفراد المجتمع المدني قبل الإمام مالك دليلا يستدل فيه على الأحكام الشرعية وغيرها من الأدلة كالاستحسان والمصالح المرسلة، فجاء الإمام مالك بمنهج جديد وغيّر في مجتمع المدنية المنورة وجعله أنموذجا يحتذى به في كل الأمصار، وجعل عمل أهل المدينة المنورة يستدل به على الأحكام الشرعية وذلك لأنهم أقرب الناس إلى صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم من قد عاينوا التنزيل وشهدوا الحوادث، فهم أقرب الناس إلى الحق من غيرهم.

ولم يبرز هذا الجانب إبرازًا جيدا يليق بهذا الإمام الجليل في هذه الحقبة المهمة، فعمدنا إلى بيان هذا المنهج وإظهاره للاستفادة منه.

أسئلة الدراسة:

السؤال الرئيس الآتي:

ما المنهجية العلمية عند الإمام مالك بن أنس وأثرها في الحياة العلمية والاجتماعية والتربوية في المدينة المنورة وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات التعليمية؟

ويتفرع من هذا السؤال التساؤلات الآتية:

١- ما مفهوم المنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس؟

2- ما الآثار العلمية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس؟

2- ما الآثار الاجتماعية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس؟

3- ما الآثار التربوية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس؟

4- ما التطبيقات التربوية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس في المسجد والمدرسة والأسرة؟

منهج الدراسة وإجراءاتها:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وهو: ذلك المنهج الذي يقوم على تجميع النصوص المتعلقة بقضية معينة ودراستها وتفسيرها واستخلاص النتائج، وذلك بهدف تحليل كتابات الإمام مالك بن أنس رحمه الله، وما كتب عنه وصولاً إلى معالم منهجه.

أهداف الدراسة:

1- التعرف على مفهوم المنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس.

2- التعرف على الآثار العلمية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس.

3- التعرف على الآثار الاجتماعية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس.

4- التعرف على الآثار التربوية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس.

5- تقديم نماذج للتطبيقات التربوية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس في المسجد والمدرسة والأسرة.

أهمية الدراسة:

1- تكتسب هذه الدراسة أهميتها من أهمية موضعها الذي تتناوله وهو المنهجية العلمية عند الإمام مالك بن أنس وأثرها في الحياة العلمية والاجتماعية والتربوية في المدينة المنورة وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات التعليمية.

2- كما تظهر أهميتها من خلال ما تضيفه للمكتبة المتخصصة في المجال التربوي من تطبيقات تربوية يستفيد منها الباحثون في المعاهد والجامعات.

3- من المأمول أن تساعد مخرجات وتوصيات الدراسة طلاب الدراسات العليا في اختيار مواضيع بحثية.

حدود الدراسة:

- الحدود الموضوعية: تقتصر هذه الدراسة على المنهجية العلمية عند الإمام مالك بن أنس وأثرها في الحياة العلمية والاجتماعية والتربوية في المدينة المنورة وتطبيقاتها التربوية في المؤسسات التعليمية.
- الحدود الزمانية: سيتم تنفيذها بإذن الله خلال العام الدراسي 1446هـ.

الجديد في البحث الحالي:

من خلال قيام الباحث بالبحث حول الدراسات السابقة في موضوع الدراسة تبين أن الدراسة ستساهم في إبراز المنهجية العلمية عند الإمام مالك رحمه الله وتأثيرها على مجتمع المدينة المنورة، وكيف كان قدوة لسائر الأمصار.

مصطلحات الدراسة:

1- المنهجية العلمية:

المنهجية العلمية هي الطريقة التي يتبعها الباحث في دراسته للظاهرة أو المشكلة، وهي تعتمد على خطوات مرتبة تبدأ بتحديد المشكلة، ثم جمع البيانات المتعلقة بها، وتحليل هذه البيانات، تمهيدًا للوصول إلى نتائج يمكن تعميمها (خليل، 2001: 45-47).

وتعرف إجرائياً بأنها: الأسلوب المنظم الذي يستخدمه الباحثون والعلماء لدراسة الظواهر الطبيعية والاجتماعية، بهدف الوصول إلى نتائج دقيقة وموثوقة. تعتمد المنهجية العلمية على خطوات محددة تشمل: تحديد المشكلة، وضع الفرضيات، جمع البيانات، تحليل النتائج، واستخلاص الاستنتاجات.

2- الإمام مالك:

الإمام مالك بن أنس هو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة والجماعة، وصاحب المذهب المالكي في الفقه الإسلامي. وُلد في المدينة المنورة سنة 93هـ وتوفي سنة 179هـ، وكان من كبار علماء الحديث والفقه. من أشهر مؤلفاته "الموطأ"، الذي يُعد من أوائل كتب الحديث والفقه في الإسلام (الزركلي، 2002: 204).

الدراسات السابقة:

في حدود علم الباحث، هناك دراسات علمية مباشرة تناولت الجوانب الفكرية والشرعية عند الإمام مالك بن أنس، إلا أنه لا يوجد دراسات تناولت منهجية الإمام مالك رحمه الله وتأثيرها على مجتمع المدنية المنورة في جعل عملها دليلا يستدل به على الأحكام الشرعية، وقد استفاد الباحث من هذه الدراسات في بعض جوانب الدراسة الحالية، ومن أمثلة تلك الدراسات ما يلي:

- أولًا: دراسة أبانمي (١٤٠٥هـ)، بعنوان: الإمام مالك بن أنس محتسبا، حيث هدفت الدراسة إلى معرفة جوانب احتساب الإمام مالك بن أنس، واستخدمت الدراسة المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي.

ويتضح مما سبق وجود اختلاف كبير بين تلك الدراسة والدراسة الحالية، سواء فيما يتعلق بالأهداف والموضوع، وإن كانت تلك الدراسة تفيد الدراسة الحالية في الكشف عن الإمام مالك والعوامل المؤثرة في منهجه.

- ثانيًا: دراسة العوضي (١٤٢٢هـ)، بعنوان: منهج مالك بن أنس في العمل السياسي. وهدفت الدراسة إلى معرفة منهج الإمام مالك بن أنس في العمل السياسي، واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي.

ويتضح للباحث وجود اختلاف أيضاً بين هذه الدراسة والدراسة الحالية، حيث إن الدراسة السابقة تركز على منهج مالك في العمل السياسي فقط، علماً أن الجانب السياسي لا يمكن تجاهله لما له من أثر عند الحديث عن منهجية الإمام مالك، بينما هذه الدراسة تناولت الجانب العلمي وغيره من الجوانب.

وتتفق الدراستان في اعتماد الإمام مالك على المستندات الشرعية والضوابط الفقهية في الجانب السياسي.

- ثالثًا: دراسة الشامي (1430هـ)، بعنوان: آراء الإمام مالك الأصولية من خلال كتاب المدونة الكبرى، وتتفق هذه الدراسة بأنها تكلمت عن الجوانب العلمية عند الإمام مالك، لكنها ركزت على الجانب الأصولي بالأخص دون غيره من العلوم، بينما هذه الدراسة شملت جوانب منهجية عند الإمام مالك رحمه الله المتعددة.

- رابعًا: دراسة الشهري (1432هـ)، بعنوان: الفكر التربوي عند الإمام مالك بن أنس، وهدفت الدراسة إلى معرفة الفكر التربوي عند الإمام مالك بن أنس، واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي، وخلصت إلى النتائج التالية: وجوب العودة إلى تراث المسلمين الفكري الضخم، لأن

في ذلك طريقا لإثراء الفكر التربوي من آراء المعلمين المسلمين ومبادئهم وآدابهم، ومواصلة البحث في مجال التربية السلوكية عند الإمام مالك لما فيه من الاستفادة الجليلة.

وتتفق هذه الدراسة بأنها تكلمت عن الجوانب الفكرية والتربوية عند الإمام مالك، إلا أنها أغفلت دوره الريادي في تغيير مجتمع المدينة المنورة وجلب بعض القواعد الخاصة بهذا المجتمع، مثل: عمل أهل المدينة، والاستصحاب، وغيرهما من الأدلة.

أولاً: مفهوم المنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس

يقوم المنهج العلمي عند الإمام مالك على الاعتماد على النصوص الشرعية من القرآن الكريم والسنة النبوية، وتقديم عمل أهل المدينة كمرجعية عملية، مع استخدام القياس والاستحسان عند الحاجة، ورفض كثرة الجدل والافتراضات. ويتميّز منهجه بالاعتدال والواقعية، حيث يوازن بين النصوص والمصلحة، ويعتمد على الرواية الدقيقة للحديث من خلال السند المتصل والثقة بالرواة.

أبرز معالم منهجه العلمي:

1- تقديم النقل على الرأي: كان لا يُقدّم الرأي على النص، بل يجعل القرآن والسنة مصدرين أساسيين.

2- اعتماد عمل أهل المدينة: اعتبره حجة؛ لأنه يمثل التطبيق العملي للنصوص في العصر النبوي.

3- التمهل في الفتوى: اشتهر بالتثبت والتريث في إصدار الأحكام.

4- الاستحسان والقياس: استخدمهما بوعي عند عدم وجود نص أو إجماع، مع مراعاة المصلحة العامة.

وكان للإمام مالك منهج واضح في استنباط الأحكام، إذ قدّم عمل أهل المدينة على حديث الآحاد إذا خالفه، واعتمد على المصلحة المُرسلة، ورأى أن الفقه لا يقتصر على جمع الأحاديث، بل يشمل فقه فهمها وتطبيقها (أبو زهرة، 1975: 295–310).

"اعتمد الإمام مالك في منهجه على الرواية الثابتة، والتطبيق العملي، ورفض الفروض التي لا تقع، وكان يرى أن العلم يُؤخذ بالتلقي والاحتكاك بالعلماء، لا بمجرد النظر في الكتب (الداودي، 1994: 132).

ثانياً: الآثار العلمية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس

خلّف المنهج العلمي الذي أسسه الإمام مالك آثارًا علمية كبيرة ومؤثرة في الفقه الإسلامي وعلوم الشريعة، ومن أبرز هذه الآثار:

1. تأسيس المذهب المالكي:

- يُعدّ من أوائل المذاهب الفقهية التي تكوّنت لها قواعد وأصول منهجية واضحة.
- انتشر المذهب في مناطق واسعة مثل المغرب العربي، الأندلس، ومناطق من إفريقيا.

2. جمع السنة وتدوينها في "الموطأ":

- كتاب الموطأ هو من أقدم كتب الحديث والفقه، جمع فيه الإمام مالك بين الرواية والدراية، مما ساعد على تقنين العلم وتقريبه للناس.
- أثّر في تطور علم الحديث من حيث العناية بالسند، وضبط الرواية.

3. ترسيخ مرجعية "عمل أهل المدينة":

- جعله حجة مستقلة، ما أثّر على بناء قواعد الاستدلال عند المالكية، وفتح بابًا للاجتهاد الجماعي العملي.

4. تعزيز فقه الواقع والمصلحة:

- من خلال اعتماد المصلحة المرسلة والاستحسان، ساهم في جعل الفقه أكثر واقعية ومراعاةً لأحوال الناس.
- أثّر هذا المنهج في تطور أصول الفقه، وخاصة في مباحث المصالح والاستصلاح.

5. التأثير في مناهج التعليم والفتوى:

- صار منهج الإمام مالك نموذجًا للعلماء في التثبت، التأني، وطلب العلم من أفواه الشيوخ.
- أثّر هذا في التقاليد العلمية بالمدارس المالكية، خاصة في القيروان، الأندلس، وفاس.

"كان لمراعاة الإمام مالك للمصلحة والعرف أثر في تطور باب القياس والمصالح المرسلة، حتى أصبح من أبرز معالم المدرسة المالكية" (أبو زهرة، 1975: 301).

"وقد أثّر منهج الإمام مالك في بناء مدرسة فقهية متكاملة، قائمة على النص والتطبيق، وراعى فيها الواقع ومصالح الناس، فجاء فقهه حيًّا نابضًا" (الزحيلي، 2002: 450–455).

ثالثًا: الآثار الاجتماعية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس

تعد الآثار الاجتماعية للمنهج العلمي عند الإمام مالك من الجوانب المهمة التي قلّ من يتناولها بشكل مباشر، لكن عند تتبع نتائج منهجه في الفقه والتشريع، تتجلى عدة آثار اجتماعية واضحة أثرت في المجتمعات الإسلامية، خصوصاً في بلاد المغرب العربي والأندلس.

1. تعزيز الاستقرار الاجتماعي:

- بفضل اعتماده على عمل أهل المدينة، وهو يمثل التطبيق العملي للشريعة في عصر الصحابة، ساعد على تعزيز وحدة المجتمع الإسلامي حول سلوكيات متفق عليها.
- اختياراته الفقهية تميل إلى الاعتدال ورفع الحرج، مما قلل من النزاع والاختلاف داخل المجتمعات.

2. مراعاة العادات والأعراف النافعة:

- قدّم الإمام مالك الواقع والعرف في كثير من اجتهاداته، ما جعل فقهه قريبًا من حياة الناس ومتوافقًا مع ثقافتهم، وبالتالي ساعد في تحقيق التلاحم بين الشريعة والمجتمع.

3. نشر روح التوازن بين الدين والحياة:

- منهجه المتزن بين النص والاجتهاد، بين الثبات والتجديد، ساعد في نشر ثقافة وسطية جعلت الناس أكثر تقبلاً للتشريع وأكثر التزامًا به، دون غلو أو تفريط.

4. التأثير في نظم القضاء والمعاملات:

- كان لمنهجه دور في تنظيم العلاقات الاجتماعية والاقتصادية من خلال فقه المعاملات، مما ساعد على حماية الحقوق، وتقنين المعاملات، وتطوير نظام القضاء في المجتمعات الإسلامية المالكية.

5. ترسيخ مكانة العلماء كمراجع مجتمعية:

- بسبب وقار الإمام مالك وهيبته في المجتمع المدني، تأثر به العلماء بعده، فصار العالم مرجعًا اجتماعيًا، يُحتكم إليه في القضايا الخلافية، مما عزز سلطة العلم والشرع في المجتمع.

"كان لفقه مالك أثر واضح في حفظ نظام المجتمع، وتنظيم المعاملات، ونشر الفقه بين الناس بما يناسب بيئتهم وعاداتهم" (أبو زهرة، 1975: 310–320).

"وأما مذهب مالك، فإنه لما كان مبنيًا على مراعاة المصلحة والعرف، لاقى قبولًا واسعًا بين الناس، وانتظمت به أحوالهم" (ابن خلدون، 2004: 482).

"مراعاة الإمام مالك للمصلحة المرسلة والعرف، أسهم في بناء مجتمع أكثر اتساقًا بين الشريعة والواقع، ما انعكس على البنية الاجتماعية والثقافية" (الزحيلي، 2002: 455).

رابعاً: الآثار التربوية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس

تُعد الآثار التربوية للمنهج العلمي عند الإمام مالك من أبرز الإسهامات التي انعكست على تكوين الشخصية العلمية الإسلامية، وأسهمت في بناء نظام تعليمي رصين في العصور الإسلامية الأولى، خاصة في المدينة المنورة، ثم انتقلت آثاره إلى باقي الأقاليم ومنها:

1. ترسيخ أدب طلب العلم:

- كان الإمام مالك شديد الحرص على تهذيب سلوك الطلاب، فكان يُشدد على احترام المعلم، وتوقير العلم، واتباع آداب المجالس العلمية.
- كان يقول: "ليس العلم بكثرة الرواية، ولكن العلم نور يجعله الله في القلب".

2. نشر منهج التلقي المباشر عن العلماء:

- دعا الإمام مالك إلى التعلّم بالسند والتلقي المباشر، لا من الكتب وحدها، مما ساعد على ترسيخ ثقافة التثبت والتحقيق في نقل العلم.

3. تعزيز قيمة التثبت والتأني في إصدار الأحكام:

- تميز الإمام مالك بـ التحفظ والتأنّي في الفتوى، ما ربّى أجيالًا من العلماء على مسؤولية الكلمة، وعدم التسرّع في الفتوى أو الحكم.

4. بناء شخصية علمية مستقلة:

- كان يشجع على الاجتهاد المنضبط، دون الجمود أو التقليد الأعمى، مما نمّى في طلابه القدرة على التفكير النقدي والتحليل الفقهي.

5. ترسيخ التربية العملية من خلال (عمل أهل المدينة):

- لم يقتصر التعليم عنده على الجانب النظري، بل حرص على نقل التطبيق العملي للدين، مما جعل المنهج التربوي متكاملاً بين العلم والسلوك (أبو زهرة، 1975: 190–200).

"وكان الإمام مالك يُعنَى بتربية طلبته على الأخلاق قبل العلم، فلا يُحدّثهم إلا إذا رأى منهم أدبًا واستعدادًا، وكان مجلسه مدرسة في السلوك كما هو في الفقه (القاضي عياض، 1998: 106/1).

"وكان لا يحدّث في الحديث إلا وهو على طهارة، متزين، يلبس أحسن ثيابه، حتى يرى الطالب لهيبته أن الحديث شيء عظيم".

"وكانت طريقة مالك في التعليم تربي النفس على الوقار والسكينة، وتعلّم طالب العلم كيف يكون فقيهًا في دينه وسلوكه" (ابن خلدون، 2004: 490).

خامساً: نماذج للتطبيقات التربوية للمنهج العلمي عند الإمام مالك بن أنس في المسجد والمدرسة والأسرة

فيما يلي نماذج تطبيقية تربوية للمنهج العلمي عند الإمام مالك في المسجد والمدرسة والبيت، مستمدة من سيرته ومنهجه في التعليم والسلوك، مدعّمة بمراجع عربية مع الصفحات:

- **أولًا. في المسجد:**

نموذج: توقير العلم وهيبة مجلسه

- كان الإمام مالك يُدرّس في المسجد النبوي، ولا يحدّث بالحديث إلا وهو على طهارة، متعطر، مرتدٍ أجمل ثيابه.
- كان لا يرفع صوته ولا يسمح برفع الصوت، لتربية الطلبة على الخشوع والهيبة في طلب العلم (القاضي عياض، 1998: 106/1).

"وكان مالك لا يُحدّث حتى يغتسل، ويتطيب، ويتعمم، ويلبس ثيابًا نظيفة، ويجلس في مجلسه وقارًا، كأنه على منبر سلطان".

نموذج: الانتقاء في التعليم

- لم يكن يُعلّم كل من دخل المسجد، بل ينتقي من رأى فيه الأدب والجدّية، فيزرع بذلك قيمة الاستحقاق والاستعداد للعلم.

"وكان مالك لا يُحدّث إلا لمن رآه أهلًا للعلم، مؤدّبًا، ذا سمت حسن" (أبو زهرة، 1975: 193).

ثانيًا. في المدرسة:

نموذج: التربية على التثبت في المعلومة

- الإمام مالك درّب طلابه على التثبت في نقل العلم وعدم التسرع في الإجابة.
- كان إذا سئل عن مسألة، قال كثيرًا: لا أدري، ليعلّم التواضع والصدق العلمي (الزحيلي، 2002: 453).

"وكان مالك لا يرى أن قول (لا أدري) عيبًا، بل من تمام الفقه، فيتربى تلاميذه على الصدق العلمي وعدم الجزم بغير دليل".

نموذج: التلقي من الشيوخ لا من الكتب فقط

- يركّز على التعليم بالمشافهة والتلقي، وهو نموذج تربوي يغرس الاحترام والعلاقة الإنسانية في التعليم (ابن خلدون، 2004: 482).

"وكان الناس في زمن الإمام مالك لا يأخذون العلم إلا عن المشايخ، وكانت الكتب وحدها لا تكفي عندهم".

- **ثالثًا. في البيت:**

نموذج: تنشئة الأبناء على هيبة العلم

- كانت والدته تُلبسه ثياب العلماء وتقول له: "اذهب إلى ربيعة وتعلّم من أدبه قبل علمه، مما يُعد نموذجًا تربويًا في البيت لغرس النية والسلوك قبل المعلومة".

"ألبسته أمّه أحسن الثياب وقالت له: اذهب إلى ربيعة فخذ من أدبه قبل علمه" (أبو زهرة، 1975: 40).

نموذج: القدوة في البيت

- كان الإمام مالك في بيته ملتزمًا بالسنة، ووقورًا في كلامه، فصار قدوة عملية لأهل بيته وتلاميذه في سلوكه اليومي.

"وكان في بيته هادئًا، كريم الخلق، لا يُرى إلا على حال من الوقار والسكون" (القاضي عياض، 1998: 115/1).

الخاتمة:

خلص البحث إلى أن المنهجية العلمية عند الإمام مالك لم تكن مجرد قواعد في استنباط الأحكام، بل كانت منظومة متكاملة أثرت في تشكيل الحياة العلمية والاجتماعية والتربوية في المدينة المنورة. وقد ساهمت في بناء مدرسة فقهية قائمة على النصوص، ومتفاعلة مع الواقع، ومؤسسة لقيم التوازن والاعتدال. كما أن التزام الإمام مالك بالسلوك التربوي الراقي جعله نموذجًا يُحتذى في تكوين العلماء وتوجيه المجتمع نحو السلوك القويم.

توصي الدراسة بمجموعة من التوصيات على النحو التالي:

1. الاهتمام بإحياء روح التأني والتثبت في الفتوى والتعليم، كما كان دأب الإمام مالك، خاصة في ظل الانتشار السريع للفتاوى الإلكترونية غير المنضبطة.

2. تعزيز روح الاحترام والوقار للعلم والعلماء في البيئات التربوية، تأسّيًا بمنهج الإمام مالك في أدب المجالس والتعليم.

3. دمج المفاهيم التربوية للعلماء الأوائل في برامج التربية الإسلامية، كوسيلة لغرس القيم والسلوك إلى جانب المعلومات.

4. تشجيع التأليف المبسط عن فكر الإمام مالك للأطفال والناشئة، بما يرسّخ فيهم المبادئ الأساسية للعلم والتربية الإسلامية.

5. الاستفادة من كتاب "الموطأ" كنموذج تطبيقي للتعليم الشامل الذي يجمع بين الفقه والحديث والسلوك، في برامج التعليم الشرعي الحديث.

تقدم الدراسة مجموعة من المقترحات على النحو التالي:

1. إدراج منهج الإمام مالك ضمن المناهج التعليمية في كليات الشريعة والعلوم الإسلامية، كجزء من تدريس الفكر المقاصدي والمنهج الاستدلالي.

2. تشجيع الأبحاث الأكاديمية المتخصصة في دراسة أثر منهج الإمام مالك في الواقع المعاصر، خاصة في مجالات التربية والاجتماع والقانون.

3. إعداد دراسات مقارنة بين المنهج العلمي عند الإمام مالك وبين مناهج علماء آخرين مثل الشافعي وأبي حنيفة، لتوسيع الفهم النقدي لدى الطلبة.

4. الاستفادة من قيم الإمام مالك التربوية في برامج إعداد المعلمين والدعاة، من خلال التركيز على الجانب السلوكي والأخلاقي في التعليم.

5. تفعيل عمل أهل المدينة كمنهج تطبيقي معاصر من خلال دراسة النماذج الاجتماعية الناجحة المستسقاة من التجربة النبوية والراشدة.

قائمة المصادر والمراجع:

أبانمي، عبد العزيز بن عبد الرحمن (1405هـ): الإمام مالك بن أنس محتسبًا، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: رسالة ماجستير غير منشورة.

الشامي، محمد بن عبد الله (1430هـ): آراء الإمام مالك الأصولية من خلال كتاب المدونة الكبرى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: رسالة ماجستير غير منشورة.

العوضي، عبد الله بن عبد العزيز (1422هـ): منهج مالك بن أنس في العمل السياسي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة: رسالة ماجستير غير منشورة.

ابن خلدون (2004): المقدمة، تحقيق: عبد السلام الشدادي، بيروت: دار الكتاب اللبناني.

أبو زهرة، محمد (1975): الإمام مالك: حياته وعصره – آراؤه وفقهه، القاهرة: دار الفكر العربي.

خليل، حسن خليل (2001): أصول البحث العلمي، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.

الداودي، عبد الله بن نجم (1994): الانتصار لإمام دار الهجرة، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الزحيلي، وهبة (2002): أصول الفقه الإسلامي، دمشق: دار الفكر.

الزركلي، خير الدين (2002): الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، المجلد 6، بيروت: دار العلم للملايين.

القاضي عياض (1998): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، بيروت: دار الكتب العلمية.